صُلْحُ الحُدَيْبِية

الطريقُ إلى مكةَ

طالَ شوقُ الرسول ﷺ وصحابته - رضوانُ الله عليهم - إلى مكةَ المكرمة وزيارة البيت الحرام، وقدْ زادَ أملُهم في دخول مكّةَ بعدَ نصر الله لهُم علَى الأحزاب في غزوة الخندق.

ورأى رسولُ الله ﷺ في المنام أنَّه دخلَ هُوَ وأصحابُه المسجدَ الحرامَ آمنينَ محلّقين رءوسَهم ومُقصّرين لا يخافونَ، وأخذَ مفتاحَ الكعبة، وطافُوا واعتَمَرُوا، فاستبشرَ رسولُ الله ﷺ بهذه الرؤيَا، وأخبرَ صحابتَه بهَا ففرحُوا، وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم هذا.

وأخبرَ رسولُ الله صحابَته أنه مُعتمرٌ فتجهَّزُوا للسفر، واستنفر العربَ، ومَنْ حولَه من أهل البوادي من الأعراب ليخرجُوا معَه، وهوَ يخشَى من قريش أنْ يعرضوا له بحرب أو يصُدُّوه عَن البيت الحرام، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب، وخرجَ رسولُ الله ﷺ بمَنْ معَه من المهاجرينَ والأنصار، ومن لحقَ به من العرب وأحرمَ بالعمرة ليأمنَ الناسُ من حربه، وليعلَمَ الناسُ أنَّه إنما خرَج زائرًا لهذَا البيت ومعظّمًا له[1].

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٩.

وكانَ عددُ مَن خرجَ معَ النبيّ ﷺ ألفاً وأربعمائة، وذلكَ في يوم الإثنين غُرةَ ذي القعدة سنةَ ٦ هـ.

* * *

وكانتْ قريشٌ لمَّا سمعَتْ بخروج النبيّ ﷺ عقدتْ مجلسًا قرَّرَتْ فيه صدَّ المسلمينَ عن البيت بكلّ ما يمكنُ من الوسائل، ونقلَ رجلٌ من بني كعب إلى رسول الله ﷺ أن قريشًا نازلةٌ بذي طُوًى، وأن مائتيْ فارس بقيادة خالد بن الوليد مرابطةٌ بكُراع العميم، في الطريق الرئيس الذي يوصلُ إلى مكةَ. وقدْ حاولَ خالدٌ صَدَّ المسلمين، فقامَ بفرسانه إزاءهم يتراءى الجيشان، ورأى خالدٌ المسلمينَ في صلاة الظهر يركعونَ ويسجُدونَ، فقالَ: لقدْ كانُوا على غرَّة، لو كنَّا حملْنَا عليهم لأصبْنَا منهم.

ثمَّ قَرَرَ أن يميلَ علَى المسلمينَ - وهمْ في صلاة العصر - ميلةً واحدة، ولكنْ أنزلَ حكمُ صلاة الخوف، ففاتت الفرصةُ على خالد[1].

(١) الرحيق المختوم ٣٧٩.

فلمَّا اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ أتاهُ بديلُ بنُ ورقاءَ الخُزاعيُّ في رجال من خُزاعةَ، فكلَّمُوه وسألُوه:

- ما الذي جاء بك؟!

فأخبرَهم أنَّه لم يأت يريدُ حربًا، وإنما جاءَ زائرًا للبيت، ومعظّمًا لحرماته.

فرجَعُوا إلى قريش فقالُوا:

- يا معشرَ قريش، إنَّكم تعجلونَ على محمَّد. إن محمدًا لمْ يأت لقتال، وإنَمَا جاءَ زائرًا لهذَا البيت[1].

ولكنَّ زعماءَ قريش لم يصدّقُوا ذلكَ وقالُوا:

- إنْ كانَ جاءَ ولا يريدُ قتالاً، فوالله لا يدخلُها علينَا عَنْوةً أبدًا. ولا تُحَدّثُ بذلك عنَّا العربُ.

وأرسلتْ قريشٌ عددًا من الرسل إلى الرسول ﷺ لتستوثقَ من الأمر، فأخبرَهم رسولُ الله ﷺ بمثل ما قالَه لبديل بن ورقاءَ.

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٢٠٢ بتصرف.

ثمَّ دعا رسولُ الله ﷺ عمرَ بنَ الخطاب ليبعَثَه إلى مكةَ، فيبلّغ عَنه أشرافَ قريش بسبب مجيئه إليهم، فقالَ: يا رسولَ الله، إنّي أخافُ قريشًا علَى نفسي.

وليسَ بمكةَ من بني عديّ بن كعب أحدٌ يمنعني، وقد عرفَتْ قريشٌ عداوتي إيَّاها وغلْظتي عليهَا، ولكنّي أدلُّك علَى رجل أعزَّ بَها مني، عُثمان بن عَفَّان.

فدعَا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ فبعَثه إلى أبي سُفيانَ وأشراف قريش يخبرُهم أنَّه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاءَ زائرًا لهذَا البيت، ومعظّمًا لحرمته.

فخرجَ عثمانُ إلى مكةَ، فلقيَه أبانُ بنُ سعيد بن العاص، فحملَه بَين يديْه، ثمَّ أجارَه حتى بلَّغَ رسالةَ رسول الله ﷺ، فانطلقَ عثمان حتى أتى أبا سفيان، وزعماء قريش، فبلَّغهم عنْ رسول الله ﷺ ما أرسلَه به، فقالوا لعثمانَ حينَ فرغَ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فَطُفْ. فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ:

- ما كنتُ لأفعلَ حتَّى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ.

واحتبسَتْ قريشٌ عثمانَ عندَها حتَّى يتشاوَرُوا في أمرهم، فأشيعَ بينَ المسلمينَ أن عثمانَ بنَ عفانَ قد قُتلَ.

* * *

obeikandl.com